18

من نوادر أشعب

أشعب المحتال

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

من نوادر أشعب

أشْعَبُ الطَّماع

شخْصِيَةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْل ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه ومواقِفِهِ الطَّريفَةِ !

أشعب المحتال

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة

كعادته خرج أشعب من داره مجولاً فى الشوارع والأزقة بحثًا عن مائدة طعام عامرة ، لكنه لم يعثر على ضالته ، فقد أغلق الناس أبوابهم فى وجهه دون رحمة أو هوادة .

لكن أشعب قال لنفسه :

ـ يجب ألا أيئس ، فاليأس أول طريق الفشل ، فكم من مرة ضاقت فى وجهى ثم فرجت .

ثم أنشد بصوت حزين قول الشاعر :

ـ ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت ، وكنت أظنها لا تفرج

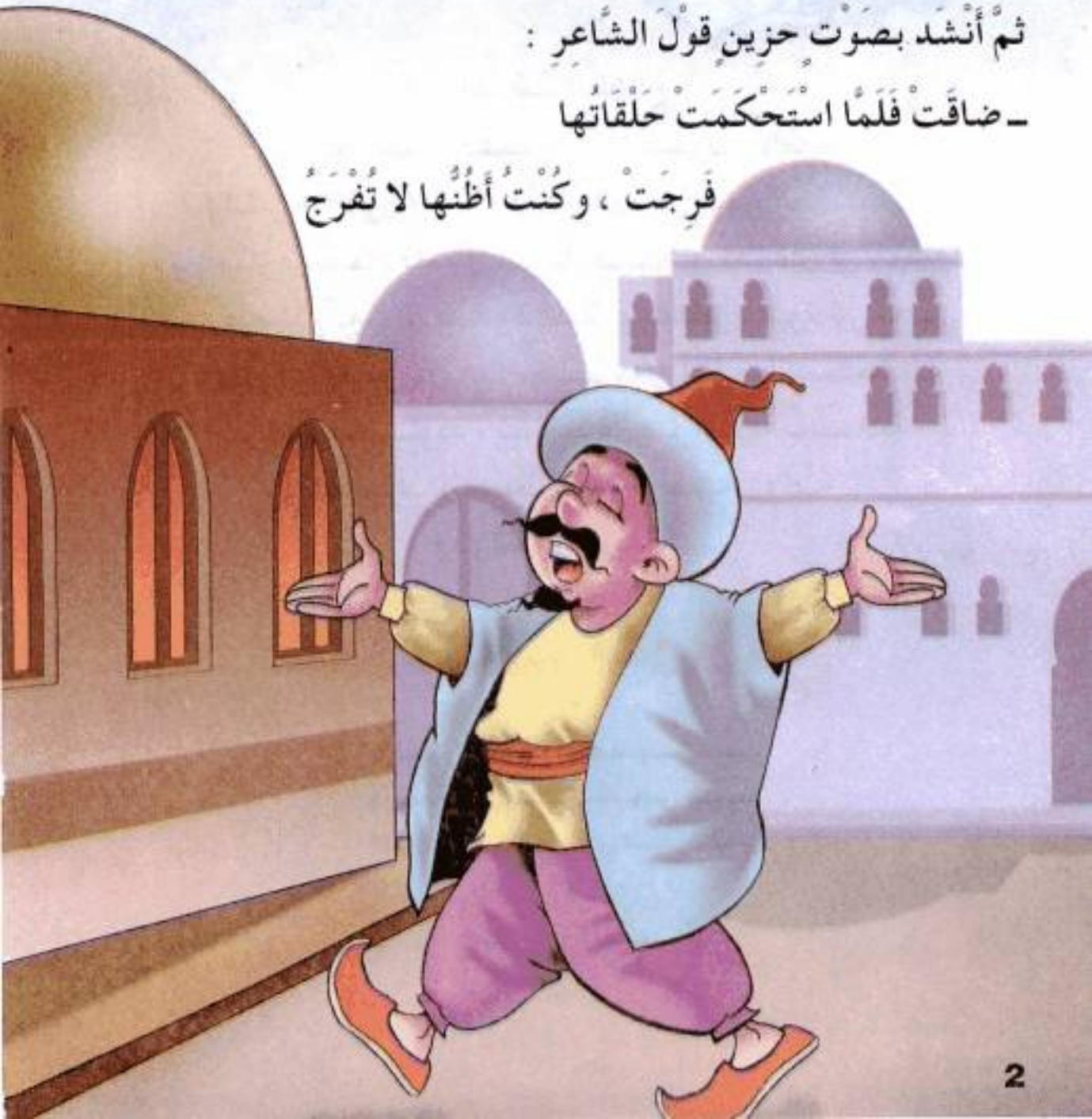

ولمْ يكَدْ أَشعبُ يُتمُّ كلامَه حتى لمحَ أَعْرابيًّا ساذجًا يمتطِى حمارَهُ ، فأَسْرَعَ نحْوَه ، وأَبْدَى اهتمامَهُ وترحيبَهُ وقالَ وهوَ يحتضِنُهُ :

ـ السَّلامُ عليكُمْ يا « أَبا زَيْدٍ » ! منْ أَيْنَ جِئْتَ ؟

ثم أَضافَ أَشْعبُ قائلاً :

ـ لا شَكَّ أَنكَ مُتْعَبٌ بسببِ مشَقَّةِ السفَرِ ووَعْثَاءِ الطَّريقِ ، هيَّا بنا إلى الْبَيتِ لكَىْ ترتَاحَ قليلاً وتتناوَلَ الطَّعامَ .

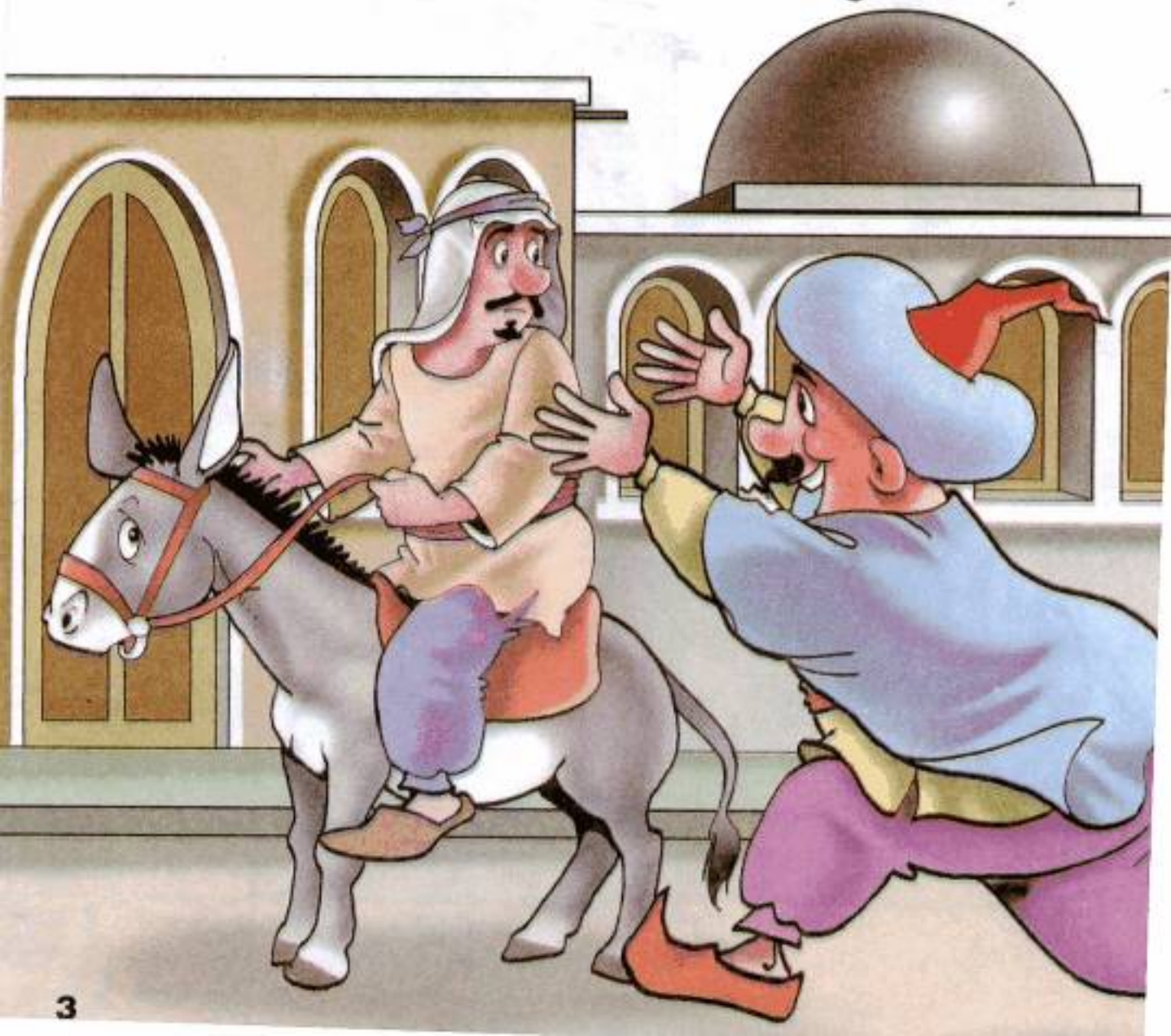

ارْتَبَكَ الْأَعْرابِيُّ وعَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَهُ فلمْ يقْدِرْ على الْكَلامِ ، فهو لَمْ يرَ أَشْعَبَ من قَبْلُ ، ثم إنَّ اسْمَهُ ليس كما ذكَر ، وإنَّما اسْمُهُ (أبو عُبَيْد) ، وقالَ فى نفْسه :

ـ لاشكَّ أنَّ هذا الشَّيْخَ قد اشْتَبه عليه الْأَمْرُ ، وربَّما ظنَّ أنني أحدُ أَصْحابه .

حمْلَقَ الْأَعْرابيُّ فى أَشْعَبَ طويلاً ثم قالَ فى اسْتِغْرابٍ :

ـ لكنني لسْتُ (أبا زَيْدٍ) إنما أنا (أَبُو عُبَيْدٍ) .

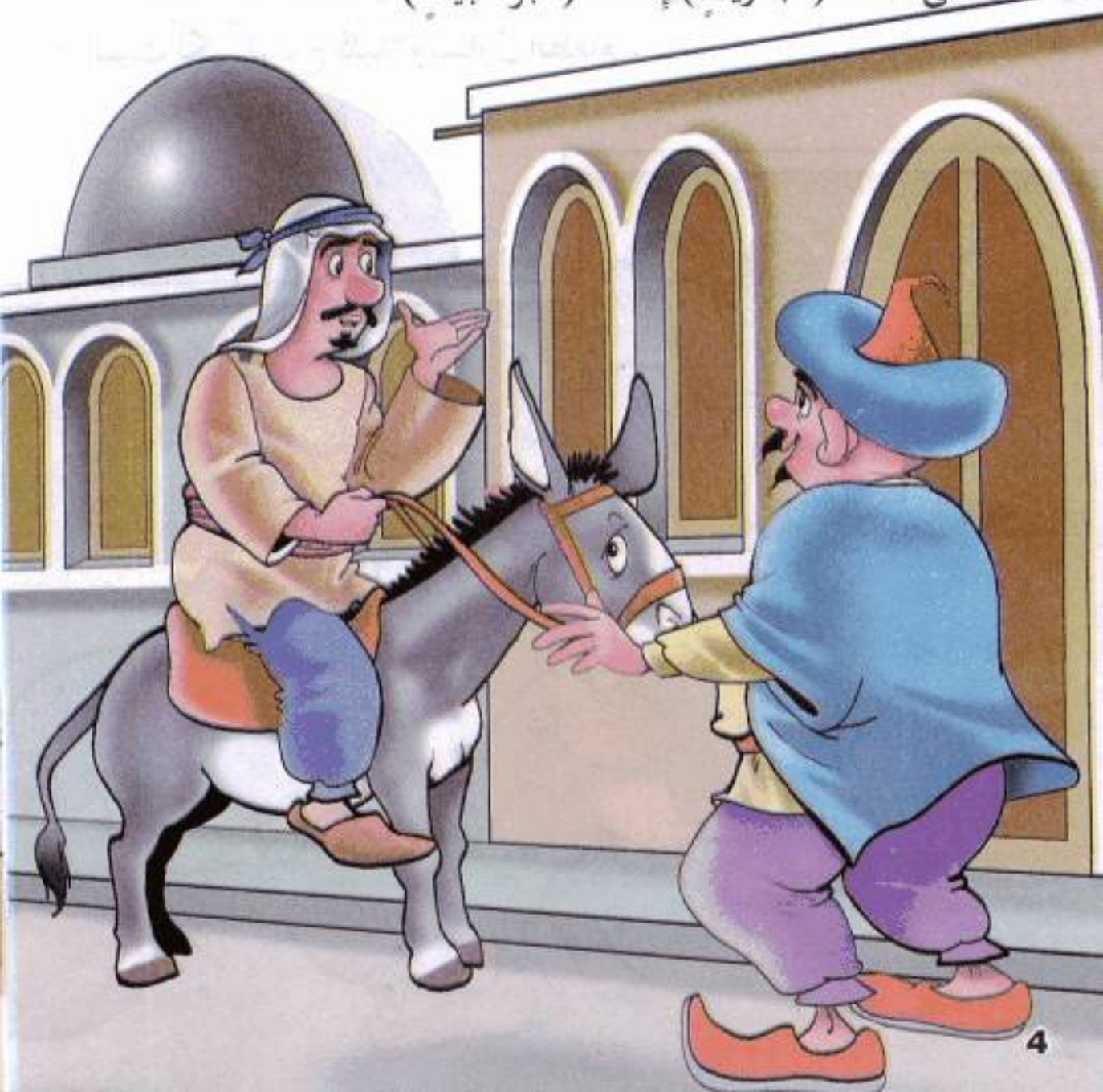

تظاهرَ أَشعَبُ بالْجدِّيَّة وقالَ فى اهْتمامٍ :

ـ قاتَلَ اللّهُ النِّسْيانَ ، فقدْ نَسسيتُكَ بِسببِ طُولِ غيابِكَ .

ثم أَمْسكَ بيَده وقالَ :

ـ هيا يا (أَبا عُبَيْدٍ) نذْهبُ إلى مَنْزِلى نتغدَّى ، فلا شَكَّ أَنكَ جائعٌ ..

مضَى الْأَعْرابىُّ فى صُحْبة أَشْعَبَ ـ برغْمِ استغْرابه ـ وفى الطَّريقِ فُوجئَ أَشْعَبُ بمَحلٍّ للشّواءِ تنبَعثُ منه رائحةُ اللَّحْمِ الْمخلوطِ بالتَّوابِلِ فسالَ لُعابُهُ .

مالَ أَشْعبُ على الْأَعْرابىِّ وقالَ لهُ :

ـ ما رأْيُكَ لوْ دعَوْتُكَ للأَكْلِ فى هذا الْمَحلِّ فما زَال بيْتى بَعيدًا ؟!

ربَّتَ الْأَعْرابىُّ على كَتفِ أَشْعَبَ وقالَ وهو لا يكادُ يصدِّقُ نفْسهُ :

ـ لكنَّكَ ستكَلِّفُ نفْسَكَ فوْقَ طاقَتِها .

فأجابَ أَشْعبُ فى خُبْثٍ :

ـ منْ أَجْلِ خاطِرِكَ يُبْذَلُ الْغالى والرَّخيصُ .

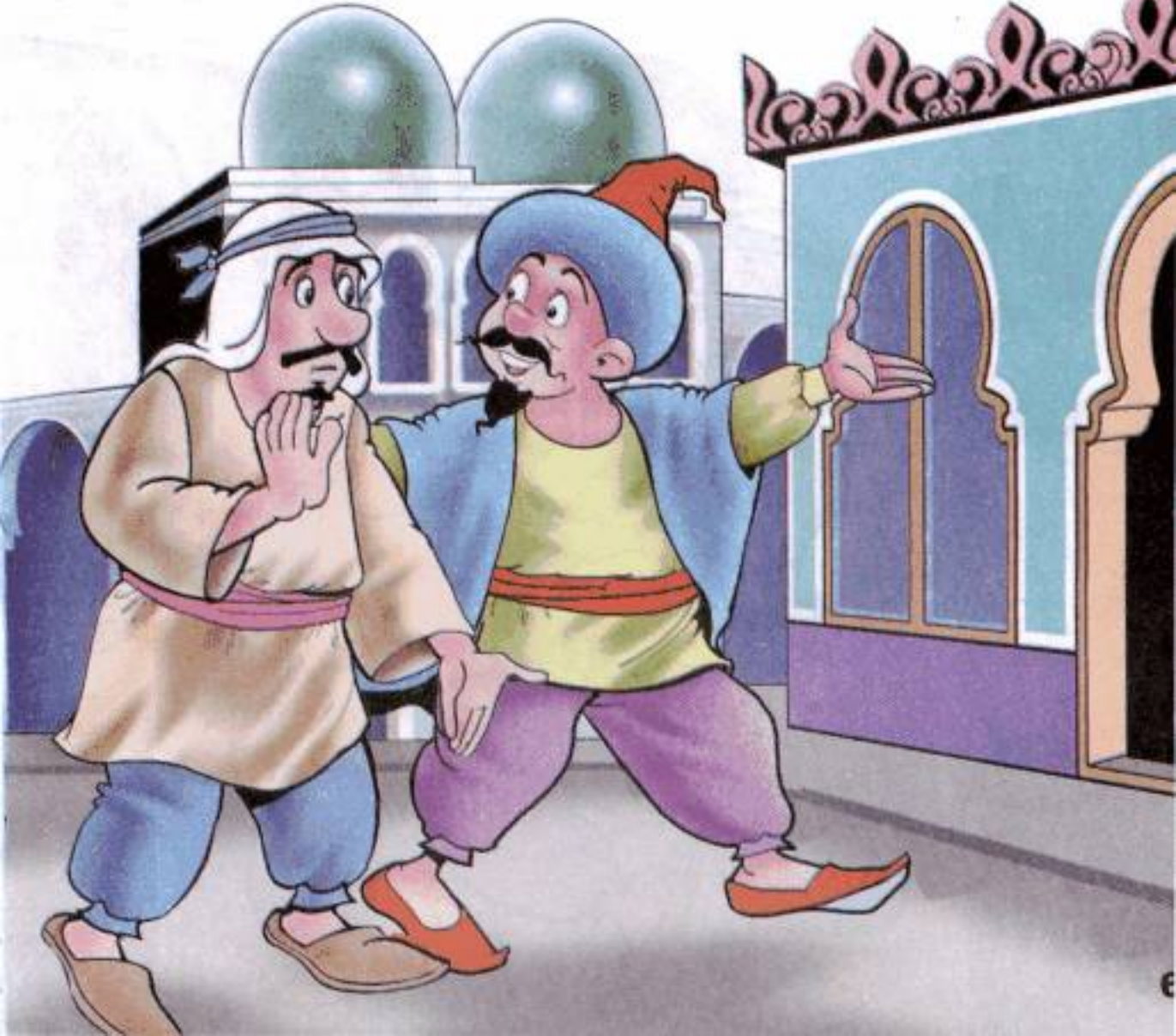

وعلَى الْفَورِ كانَ أَشْعَبُ والأَعْرابِيُّ داخِلَ الْمَحلِّ جالِسَيْنِ على مائدَةٍ مُعَدَّةٍ لكبارِ الزَّبائنِ .

طلبَ أَشْعَبُ منْ صاحِبِ الْمَحلِّ أَن يضعَ أَمامهُ وأَمامَ صاحبِه منْ أَطايبِ الطَّعامِ ، كما أَظْهَرَ حفاوَتَهُ أَكْثرَ بذلكَ الْأَعرابِيِّ ، فطلبَ منْ صاحِبِ الْمَحلِّ أَنْ يضعَ أَمامَهُ أَجْوَدَ أَنواعِ الطَّعامِ وأَنْ يزيدَ لهُ فى كَمِّيَّةِ الطَّعامِ .

وعلَى الْفَوْر كانت الْمائدةُ عامرةً بكُلِّ ما لذَّ وطاب : شواءٍ رائحتُهُ تُحْيِى النُّفُوسَ الْجائعةَ ، بطٌّ ودجاجٍ ، بالْإضافة إلى أَطْباقِ الْفاكهةِ التى تزيِّنُ الْمائدةَ وتفْتَحُ الشَّهيةَ للطَّعامِ .

لمْ يكُنْ أَشْعَبُ فى حاجةٍ إلى شَىْءٍ يفْتَحُ شهيَّتَهُ فقد هجم على الطَّعامِ كما يَهْجمُ الْمحارِبُ الشُّجاعُ على كَتيبةٍ من الْأَعْداءِ فيُفَرِّقُ شَمْلَهُمْ ويُشَتِّتُ جَمْعَهمْ ، وفعَل مثْلَهُ ذلك الْأَعْرابىُّ الَّذى كانَ ظاهراً عليْهِ أَنهُ لم يَذُقِ الطَّعامَ مُنْذُ أَيَّامٍ .

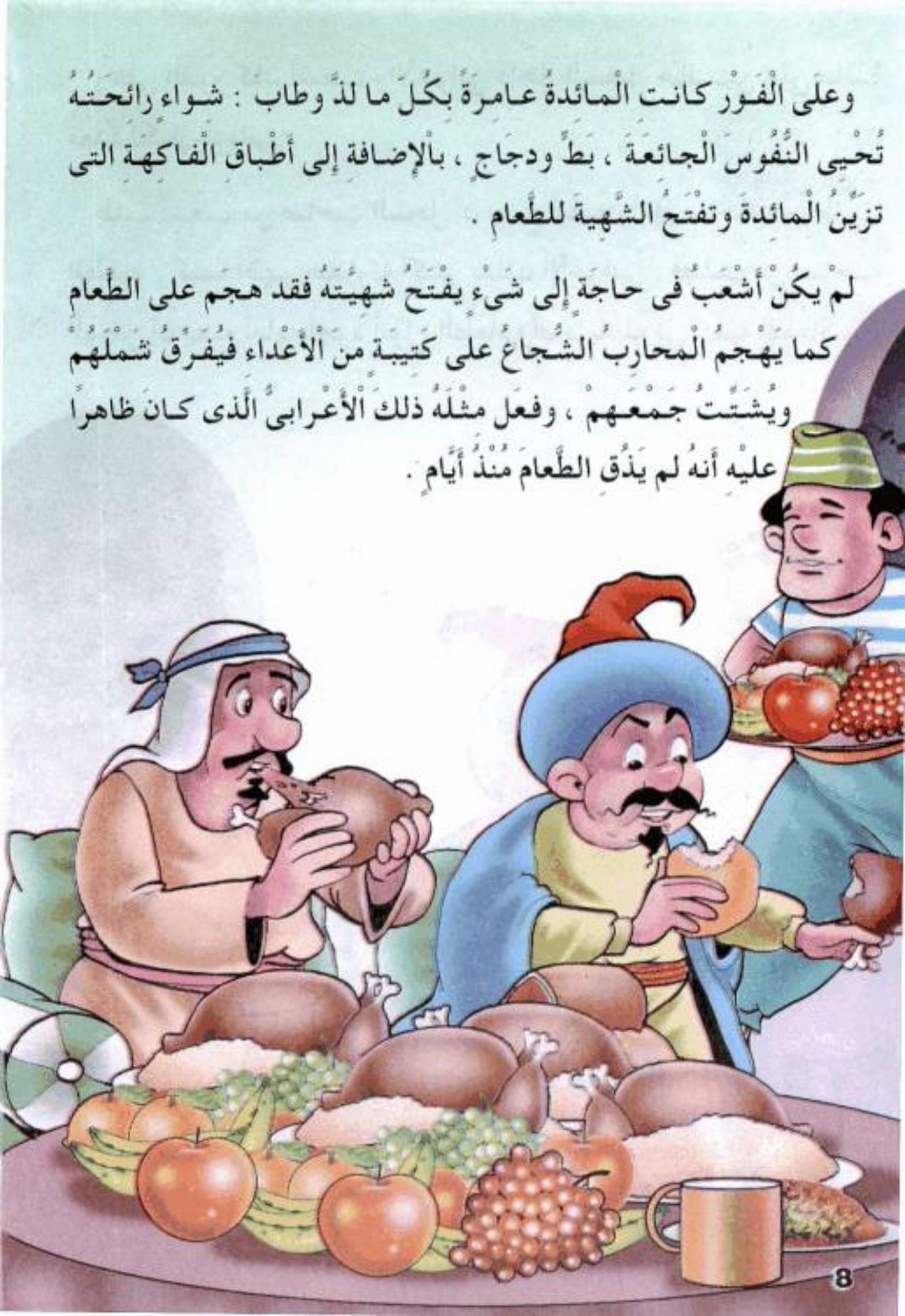

وما هى إلا لحظاتٌ حتى كانتْ مائدةُ الطَّعامِ خاليةً تماماً ، فأشارَ أشْعبُ إلى صاحبِ الْمَحلِّ لكى يُمدَّهُمْ بالْمزيدِ منَ الطَّعامِ ، فوضعَ أمامَهُمْ مثْلَ الطعامِ الَّذى وضعَهُ منْ قبْلُ أوْ يزيدُ .

أثْنَى الْأعْرابىُّ علَى أشْعبَ قائلاً :

ـ إنَّنى لمْ أُقابلْ أحَداً فى حياتى بمثْلِ هذا الْكَرمِ ، حقًّا إنَّ الْكَرمَ منْ سَجَايا الْعُظَماءِ ، ومُذ رأيْتُكَ وأنا أقولُ فى نفْسِى : « إنَّ هذا الرجُلَ فلْتَةٌ منْ فلتَاتِ هذا الزَّمنِ » .

نظرَ أَشْعَبُ إلى الرجُلِ ، وفَمُهُ محْشُوٌّ بالطَّعامِ وقالَ :

ـ وهلْ رأَيْتَ شيْئًا بعْدُ ؟

ـ وماذا بقِيَ ؟ لقدْ أَكَلْتُ شواءً ودجاجًا وفاكِهةً منْ كلِّ صنْفٍ ولَوْنٍ .

ـ سوْفَ تذُوقُ الْحلْوى على جَميعِ أشْكالِها وأَصْنافِها .

ـ لكنَّ بطْنِى لمْ يعُدْ فيه متَّسعٌ لذلكَ .

ـ لا تقْلَقْ فسوْفَ يفْسحُ الطعامُ مكانًا للْحلْوى بجواره ، فهُما أَخوَيْنِ متَحابَّيْنِ ..

ضحكَ الرجُلُ ضحكَةً حمقاءَ وقالَ وهو يهرُشُ رأسَهُ بيدِه :

ـ يالك مِنْ رجُلٍ كريمٍ وأيْضًا خفيفِ الظِّلِّ .

ثم راحَ فى ضحكٍ مُتواصِلٍ قبْلَ أنْ يحشو فمَهُ بالطَّعامِ .

الْتفتَ أشعَبُ إلى صاحبِ الْمحلِّ قائلاً :

ـ زنْ لأبى عُبَيْدٍ رطْلَيْنِ من الْفالُوذَجِ واللَّوْزِينجِ حتى يأْكُلَ هنيئًا مَرِيئًا ، وما يتبقَّى يأْخُذُه إلى أوْلادِه وأهْلِ بيْتِه .

نظرَ أَشْعَبُ إلى الرجُلِ الذى كانَ غارِقًا فى الطَّعامِ وقالَ له :

ـ نحْنُ محتاجونَ إلى ماءٍ مثلَّجٍ نشْرَبُه بعْدَ هذهِ الْوَجْبَةِ الدَّسِمَةِ .

ودُونَ أَنْ يلْتَفِتَ قالَ :

ـ أَجَلْ .

فقالَ أَشْعَبُ :

ـ إذَنِ ابْقَ جالسًا ولا تَبْرَحْ مكَانَكَ حتى أَعُودَ إليكَ بالْماءِ المثلَّجِ الذى يُبَرِّدُ حلُوقَنا .

ـ شُكْرًا يا شَهْمُ .

خرجَ أَشْعبُ لكى يُحضر الْماءَ الْمُثلجَ كما أخبر هو الرَّجُلَ بذلك ، ولكنَّهُ فى قرارة نفسه كانَ قدْ قرَّرَ ألا يعودَ إلى الْمحلِّ ثانيةً .

مرَّ الْوقتُ سريعًا ، وأوْشكَ الْيومُ أنْ ينقضى ، بينما كانَ الأعرابىُّ يغطُّ فى نومٍ عميقٍ مُنتظرًا قُدومَ أشْعب لكى يدفعَ الْحسابَ ثمنًا للطَّعام .

مضى مزيدٌ من الْوقْتِ ولمْ يأْتِ أشعبُ فأدْركَ الرَّجلُ أنَّه لنْ يعودَ ، فهمَّ هو الآخرُ بالْخروجِ قبلَ أنْ يحلَّ الظَّلامُ ، لكنَّ صاحبَ الْمحلِّ جذبهُ من ثوْبه بقُوَّةٍ وصاحَ فيه :

ـ أَيْنَ ثمنُ الْأَكْلِ يا رَجُلُ ؟

فقالَ الرجلُ فى بَراءةٍ :

ـ لقدْ أَكَلْتُ ضَيْفًا .

فصاحَ صاحبُ الْمحلِّ :

ـ ومَنِ الَّذى ضيَّفكَ ؟

ـ ذلكَ الرجلُ الذى كانَ جالسًا بِجوَارى ، وقدْ ذهَبَ لإِحْضارِ ماءٍ مُثلجٍ .

أَدْرَكَ صاحبُ الْمحلِّ أَنَّ الرجُلَ الذى أَمامَهُ ما هو إلا رجُلٌ مُراوِغٌ مُحْتالٌ ، فانْهالَ عليه هو وصِبْيانُهُ بالْعصِىِّ حتى أَشْبَعُوهُ ضرْبًا وهو يَسْتَنْجِدُ بالْمارَّةِ ويَسْتَغيثُ بهِمْ لكنْ دُونَ جَدْوَى ، ولمْ يُنْقِذْهُ منهمْ إلا سُقُوطُه على الْأَرْضِ وظُهُورُ نُدباتٍ منْ أَثَرِ الضَّرْبِ على كلِّ جزْءٍ فى جَسَدِه .

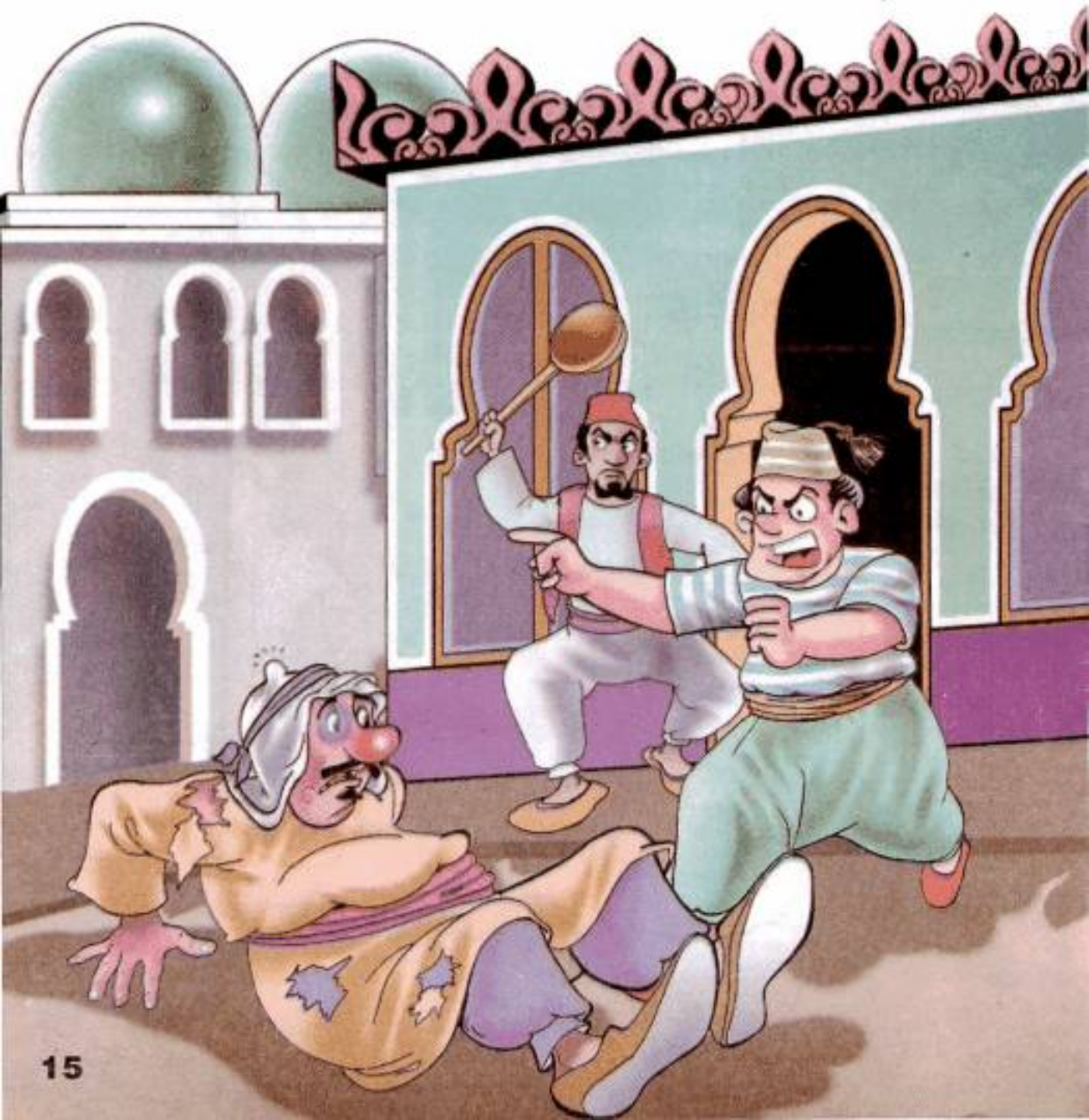

ولم يتوقَّف الأعرابيُّ عن البُكاء والصُّراخ وأخذ يقولُ :

ـ قاتلَ اللهُ ذلك الرجُلَ المُخادعَ ، لقد قُلْتُ لهُ : أنا (أبُو عُبيْد) فقال لى : أنْتَ (أبُو زيْد) .

وعلى الجانب الآخر كان أشْعَبُ يُواصلُ بحثَهُ الدَّءُوبَ والمُستمرَّ عن وليمة جديدة أوْ أحَد الأعْراب السُّذَّج لكى يخْدعَه كما خدعَ هذا المسْكين ..

(تمَّت)

رقم الإيداع : ٤٥٩٥ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : ٧ - ٧٤٨ - ٢٩٦ - ٩٧٧